تصحيح الأخلاق بعد أن يمنّ الله بالهداية للسُّنّة

عبدالله البخاريّ حفظه الله

وهنا .....وأنتهز فرصة، بعض الإخوة -بارك الله فيكم-وهذا مع الأسف أقوله بعد تمرّس لحال كثير من الطّلبة والإخوة -هداهم الله-، وهذه نصيحة مشفق، وتنبيه لمن أراد الانتباه، بعض الإخوة -وفّقهم الله وهداهم للسُّنّة -هم على أقسام:

قسم كان كافرًا -كما في السّؤال ممكن- أو وقع في كُفر مضى أو كان على الكُفر سابقًا فمنّ الله جلّ وعلا عليه بالإسلام وهداه للسُّنّة؛ هذه نعمة، صحيح؟

قسم آخر كان مسلمًا في أصله لكن كان في غِواية وضلالة، مُفرِّط في جنب الله جلّ وعلا، ثمّ هداه الله للسُّنّة والاستقامة.

وقسمٌ نشأ -والحمد لله-على خير وعافيّة بين أظهر أهل السُّنّة، وتأدّب بأدبهم، وتعلّم من علمهم، وَضَحْ؟

القسم الأوّل والثّاني: لا شكّ هي نعمة كُبرى أنّ الله منّ عليه بالإسلام والسُّنّة، نعمة عظيمة لا تُقدَّر بثمن، لكن من المؤسف! أقول من المؤسف والمُبكيّ! بل والمُحزن أن تبقى رواسب الكُفر وأخلاقيات الكُفر السّابقة، أو أخلاقيات الفِسق الّتي كان عليها في السّابق! من سوء الظّن، والغش، والخديعة، والكذب، والنّميمة، والمكر، وغير ذلك من الأخلاقيات الفاسدة، أن تبقى معه بعد لُزومه السُّنّة ولا يسعى لتصحيحها؛ وهذا الّذي يُوّرث الخلل الكثير والكبير؛ بل يكون سببًا أحيانًا في تنفير بعض النّاس المُقبلين على السُّنّة بأخلاقيات موروثة، صحيح؟؛ ولهذا قال النّبيُّ عليه الصّلاة والسّلام:"إنّك إمرؤ فيك جاهليّة"، ولّما تداعى بعضهم : "يا للأنصار ويا للمهاجرين، قال: "أبدعوى الجاهليّة وأنا بين أظهرهم؟ دعوها فإنّها مُنتنة"، فلا يجوز لمن لزِم السُّنّة: يجب أن يتخلّق بأخلاق أهل السُّنّة، وأن يتعلّم ما دلّت عليه السُّنّة من مكارم الأخلاق، وحُسن الأدب، وحُسن السَّمْت.

ووالله هذا الأمر -أقول -قد لمسته وعايشته، وكثير من النّزاعات بين طلبة المنهج الواحد السُّنّيّ السّلفيّ -أقول -تقع منهم بعض الإخوة حزازات مرجعها إلى مثل هذا، واللهُ يعلم ما يُبيّتون ولَوْ أخفى لك هذا، أقول ولَوْ أخفى لك هذا، لكن لا بدّ أن تظهر على فلتات لسانه وأخلاقيات أفعاله؛ فيجب على الإنسان أيُّها الإخوة أن يُصحّح وأن يَتُوب وأن يَئُوب، وأن يُراجع نفسَه، وأن يُصحّح المسار الّذي يسير عليه، أمّا أن يبقى بتلك الأخلاقيات؟!

الإسلام؛ لّما جاء النّبيُّ عليه الصّلاة السّلام كانت النّاس في جاهليّة وهذا أمر ظاهر بيِّن، صحيح؟ كان الزّنا، والشّرك، والسّحر، والرّبا، والقمار، ووو أخلاقيات فاسدة وضالّة، ولكن كانت هناك بعض الأخلاق الّتي كانوا عليها حسنة من الشجاعة، والكرم، وضيافة الضَّيْف، نعم وغير ذلك، والإحسان إلى المُحتاج، صحيح؟ فجاء الإسلام؛ أقرّ تلك الأخلاق الحسنة ونهى عن ضدّها، وتلك الأخلاق السيّئة كلّها حاربها ومحاها، صحيح؟ إذاً لا يجوز لك يا أخي! لستُ أنا بالّذي أكشف عن صدور النّاس، لكن أنت أدرى بنفسك، اجلس مع نفسك، يا أخي حاسب نفسَك. أما قال عمر -رضي الله عنه-: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا"؟ أما قال هذا؟ زِنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، فالكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني، يا أخي اجلس حاسب نفسَك، هذه الأخلاقيات يجب أن نتركها.

إذا ما هو الصحيح؟ ما هو البديل؟ السُّنّة والحمد لله معصومة.

ملحوظة: فالكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني: حديث ضعّفه الألباني وغيره من أهل العلم، والصّحة في معناه والله أعلم.